

**تحدي المحافظة على التنوع الثقافي للمجتمعات العربية في ظل العولمة
- قراءة تحليلية من منظور سوسيولوجيا التربية -**

**The Challenge of Preserving the Cultural Diversity of Arab Societies in
the Shadow of Globalization**

-An analytical reading from the perspective of the sociology of education.

سمية أحمد الطيب، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر،-ahmedtayeb.somia@univ-
msila.dz

مخبر الدراسات الأنثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية بالمسيلة

تاريخ قبول المقال: 16-10-2025

تاريخ إرسال المقال: 10-08-2025

الملخص:

تعكس الثقافة العربية الإسلامية التراث الحضاري الفكري الذي تتسم به الأمة العربية، فهي تجمع عناصر مشتركة بين المجتمعات العربية، غير أنها أخذت تتعرض في ظل العولمة للعديد من التحديات، خاصة وأن العولمة الثقافية اليوم تدعو إلى إيجاد ثقافة بلا حدود، ثقافة واحدة نموذجها الثقافة الغربية وتحرص على تصدير هذا النموذج لباقي المجتمعات، وهذا بعد أن أسهم التطور التقني في مجال الاتصالات والمعلومات في تحقيق التزاوج بين الثقافة والتقانة، وبالتالي سهل على العولمة الغربية الوصول إلى الثقافات العربية والإسلامية، والعمل على طمس معالم هويتها الذاتية، مما يشكل تهديداً على التنوع الثقافي لهذه الشعوب. وجاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على أهم التحديات التي تواجهها الثقافة العربية في ظل العولمة، والاستراتيجية العربية المعتمدة لمواجهة هذه التحديات.

الكلمات المفتاحية: العولمة، الثقافة، التنوع الثقافي، المجتمع العربي.

Abstract:

The Arab-Islamic culture reflects the intellectual cultural heritage that characterizes the Arab nation, as it combines common elements among Arab societies. However, in light of globalization, it is exposed to many challenges, especially since cultural globalization today calls for the creation of a culture without borders, a single culture whose model is Western culture and is keen to export this model to other societies, after the technological development in the field of communications and information contributed to the marriage between culture and technology, thus making it easier for Western globalization to reach Arab and Islamic cultures and work to blur the features of their self-identity, posing a threat to the Arab and Islamic cultures. This study came to shed light on the most important challenges facing Arab culture in light of globalization, and the Arab strategy adopted to face these challenges.

Key words : Globalization, Culture, Cultural Diversity, Arab Society.

مقدمة:

في ظل التطور المتسارع الذي يشهده العالم اليوم من حداثة وثروة معلوماتية، مست جوانب الحياة المختلفة (اجتماعية، ثقافية، اقتصادية...)، ظهر مفهوم "العولمة" الذي حول العالم إلى قرية صغيرة، وبذلك أصبح الإنسان يعيش عصر جديد يطلق عليه عصر العولمة، عصر صاحبه ظهور النظام الدولي الجديد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، التي تعمل على فرض ثقافتها على شعوب العالم باعتبارها الثقافة الأصلح والنموذج الأمثل للإنسانية كافة مستخدمة في ذلك مختلف الوسائل من إعلام وأنترنت و... إلخ. وتعد العولمة في جانبها الثقافي (العولمة الثقافية) الأخطر والأكثر تأثيراً على الإطلاق مقارنة بالعولمة المادية الاقتصادية، فهي تسعى إلى توحيد الثقافات المختلفة واختزالها في ثقافة واحدة تمثلها الثقافة الغربية، والتي تدعو بدورها إلى تجانس ثقافات العالم تحت مظلة قيم العدالة والمساواة والديمقراطية. وفي إطار العلاقة والتفاعل المستمر بين الثقافات المختلفة وسعي العولمة لفرض نموذج ثقافي عالمي مشترك بين الشعوب، تظهر العديد من المشكلات والتحديات التي تواجه دول العالم عامة والمجتمعات العربية على وجه الخصوص ولعل من أبرزها خطورة، تلك المتعلقة بالتنوع الثقافي والفكري للحضارات التي أصبحت مهددة من طرف تيارات العولمة.

ومن هذا المنطلق، جاءت هذه الدراسة كاستجابة علمية للكشف عن تحديات المحافظة على التنوع الثقافي للمجتمعات العربية في ظل العولمة، ومنه فالإشكالية التي نهدف لمعالجتها تنطلق من التساؤل التالي: ما هي التحديات التي تواجهها المجتمعات العربية للمحافظة على التنوع الثقافي في ظل العولمة؟ وهل تعتمد المجتمعات العربية على استراتيجية واضحة لمواجهتها؟ ولمعالجة هذا الموضوع، اعتمدنا المنهج الاستنباطي الاستدلالي وهذا لأن الانتقال في هذه الدراسة كان مما هو كلي ليتم الوصول إلى جزئيات الموضوع، ولأن المنطق والتأمل الذهني للمادة العلمية المتوفرة حول الموضوع كان هو أساس تحليلنا لجوانب موضوع الدراسة للخروج باستنتاجات عامة حوله. وقد تم تناول الموضوع نظرياً من خلال مبحثين، تناول المبحث الأول الإطار التصوري للدراسة (تحديد المفاهيم، تاريخ العولمة، وسائل العولمة وآلياتها)، وتناول المبحث الثاني العولمة والتنوع الثقافي (العولمة والثقافة الذاتية، التنوع الثقافي من منظور إسلامي، التحديات واستراتيجيات المواجهة)، ليختتم العرض بخلاصة للموضوع مع تقديم استنتاجات عامة للدراسة في ضوء الإطار النظري للدراسة.

المبحث الأول: الإطار التصوري للدراسة.

يشتمل المبحث الأول على عرض تفصيلي لمفاهيم الدراسة، وكذلك السياق التاريخي لنشأة العولمة، إضافة إلى وسائل العولمة وآلياتها المختلفة. والمطالب التالية ستوضح ذلك بشكل أكثر عمقاً.

المطلب الأول: تحديد مفاهيم الدراسة.

يتضمن المطلب الذي بين أيدينا أهم المفاهيم المتصلة بالدراسة، بدءاً بمفهوم العولمة والمقصود به في جوانب متعددة (اقتصادية، سياسية، تاريخية، اجتماعية، ثقافية)، وكذلك مدلول الثقافة، مفهوم التنوع الثقافي. وبصاحب كل مفهوم إجرائي نحدد وفق تصورنا ووفق ما يخدم أهداف الدراسة الحالية.

أولاً: العولمة.

1- العولمة

أ- لغة: العولمة ثلاثي مزيد، يقال: عولمة على وزن قولبة، وكلمة "العولمة" نسبة إلى العالم، - بفتح العين- أي الكون وليس إلى العلم - بكسر العين- والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر، وهو مشتق من العلم وذلك على تفضيل مذكور في كتب اللغة، فالعولمة كالرباعي في الشكل فهو يشبه درجة المصدر، لكن درجة رباعي منقول أما عولمة فرباعي مخترع إن صح التعبير، وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها...، ويرى الدكتور "صدفي الدجاني" أن العولمة مشتقة من الفعل عولم على صيغة فوعل، واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل أي العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم.¹

والعولمة ترجمة للمصطلح الإنجليزي "Globalisation"، وترجمتها لغوياً تعميم الشيء وإكسابه الصيغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، ويعرف قاموس "Webster" العولمة بأنها اكساب الشيء طابع العالمية.² والعولمة كذلك ترجمة لكلمة "Mondialisation" الفرنسية، بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي.³ إذن فالعولمة لغة تعني تعميم الشيء، وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله.

ب- اصطلاحاً:

لا يوجد تعريف موحد يمكن الأخذ به لظاهرة العولمة، ولا يمكن حصرها في تعريف واحد ولو تميز بالدقة فتعاريفها متعددة بتعدد أبعادها ومستوياتها، ونظراً لتغيرها الدائم والمستمر، فقد طرحت تعريفات

¹ علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، العولمة والمجتمع، دار الحامد، عمان، 2007، ص14.

² عبد المحسن بن أحمد العصيمي، العولمة في عالم متغير، ط1، قرطبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2010م، ص550.

³ علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، مرجع سابق، ص15.

عديدة للعولمة اختلفت باختلاف المعايير المعتمدة في تحديد هذا المفهوم، وسيتم في مداخلتنا هذه تحديد أهم تعريفات العولمة حسب أبعادها مع التركيز على بعدها الثقافي باعتباره المقصود بالدراسة. **بداية بالتعريف الاقتصادي للعولمة**، وفي هذا البعد نجد العديد من التعريفات للعولمة، منها تعريف "سامي محمد نصار" حيث يعرفها بأنها: "تعني تزايد الاعتماد المتبادل بين بلدان العالم، وبوسائل منها زيادة حجم وتنوع معاملات السلع والخدمات عبر الحدود والتدفقات الرأسمالية الدولية، من خلال سرعة ومدى انتشار التكنولوجيا".¹ فالعولمة بواسطة السوق هي الشكل المتقدم لرسملة العالم وسلعته وتحويل أفرادها إلى مجرد مستهلكين للسلع والخدمات التي تروج على نطاق العالم²، أي سيادة النظام الرأسمالي وفرضه على جميع المجتمعات الإنسانية.

أما التعريف السياسي للعولمة، فالعولمة في بعدها السياسي: "أحد أشكال الهيمنة السياسية بعد انهيار أحد المعسكرين وانفراد المعسكر الآخر بالسيطرة على العالم"³، وهي تعني أيضا "الدعوة إلى اعتماد الديمقراطية والليبرالية السياسية وحقوق الإنسان والحريات الفردية، وهي إعلان لنهاية سيادة الدولة ولنهاية الحدود ولتكامُل حقل الجغرافية السياسية".⁴

بينما التعريف التاريخي للعولمة، فتعرف العولمة وفق هذا المنظور بأنها: "... بمثابة نظام عالمي جديد له أدواته ووسائله وعناصره وميكانزماته ومنجزاتها حصيلة تاريخية لعصر تنوعت فيه تلك التطورات، التي ازدحم بها التاريخ الحديث للإنسان.."، وهكذا تأتي العولمة لتجسيد حصيلة كل ما حفل به التاريخ الحديث للبشرية لتأسيس تاريخي عولمي جديد للإنسان.⁵ وهذا البعد يعكس خطورة العولمة على تاريخ الشعوب، وتهميش دوره واختزاله في تاريخ واحد، وهذا ما يؤدي إلى طمس الخصوصيات الثقافية التاريخية لتلك الشعوب.

ليأتي التعريف الإعلامي للعولمة. حيث عرفت العولمة وفق هذا الطرح على أنها: "نظام عالمي جديد قائم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات، والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في

¹ سامي محمد نصار، قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2005، ص75.

² عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص240.

³ حسن حنفي، صادق جلال العظم، ما العولمة؟، ط2، دار الفكر، سورية، 2000، ص 24-25.

⁴ علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، مرجع سابق، ص58.

⁵ محمد طاقة، مأزق العولمة، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2007، ص19.

العالم¹، وهذا التعريف يبرز الدور الذي تلعبه تكنولوجيا المعلومات في الاختراق الثقافي لدول العالم، وكسر الحواجز بين شعوب العالم.

ويبرز التعريف الاجتماعي للعولمة، كأحد أهم الجوانب المهمة في الدراسة، حيث يعرف "الهاشمي" العولمة بأنها: "الاتجاه المتناهي الذي يصبح به العالم نسبياً كرة اجتماعية بلا حدود، حيث تكتسب العلاقات الاجتماعية نوعاً من عدم الفصل (الحدود)؛ أو بعد المسافة حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد، ومن ثم فالعلاقات الاجتماعية التي لا تحصى عدداً، حيث يتفاعل الناس ويتأثر بعضهم ببعض، ويصبح العالم أكثر اتصالاً وتنظيماً على أساس وحدة الكوكب".²

تماشياً مع ما سبق، يأتي **التعريف الثقافي للعولمة**، إذ يرى "علي ليله" أن العولمة تعني: "تشكيل العالم وفق نموذج محدد هو النموذج الأمريكي، حتى تخلق تجانس تنساب عبره السلع المادية والمعنوية"³، وهي أيضاً: "عولمة حضارة بعينها؛ وهذه الحضارة هي بدورها تعبير عن ثقافة أمة معينة، أو ثقافة مجموعة من الأمم".⁴ وبشكل أكثر تحديداً نجد "القرضاوي" يشير إلى أن العولمة الثقافية: "تتمثل بفرض الثقافة الأمريكية على العالم كله، وهي خطر على عقائدنا وقيمنا ولغتنا، تريد أن تسلخنا من جلدنا، وأن تنزعنا من هويتنا وأن تروج في أمتنا بضائعها الفكرية ومعلباتها الثقافية الملوثة، فهي تريد أن تشيع فينا ثقافة الاستهلاك وثقافة الإباحية، وثقافة الشذوذ والإجهاض وثقافة التطبيع".⁵

وكتعريف إجرائي للعولمة، فإننا نقصد بالعولمة في دراستنا أنها: هيمنة ثقافة عالمية واحدة، والتي يمثلها النموذج الأمريكي، وفرض سيطرتها ونفوذها على شعوب العالم، وهي تعمل على اختراق الخصوصيات الثقافية للمجتمعات عامة، والمجتمعات العربية على وجه التحديد، خاصة في جوانبها اللغوية والدينية، والتاريخية والقيمية والتربوية، مما يهدد التنوع الثقافي لدى هذه الشعوب ويفرض عليهم التجانس تحت مظلة ثقافة عالمية واحدة.

¹ يحيى عابنة، محمد المجالي، العولمة والثقافة المحلية، حوار أم صراع، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية، 2000، ص7.

² علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، مرجع سابق، ص23.

³ عبد المحسن بن أحمد العصيمي، مرجع سابق، ص389.

⁴ جلال أمين، العولمة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2009، ص38.

⁵ علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، مرجع سابق، ص73.

ثانياً: الثقافة.

1- لغة:

وردت كلمة ثقافة في القاموس المحيط، من أصل ثقف، ككرم، وفرح، ثقفا وثقفا وثقافة: صار حاذقاً خفيفاً فطناً، وثقفه تنقيفاً: سواه، وثاقفه فثقفه، كنصره: غالبه فغلبه في الحق¹، وبالتالي فهي تعني الحذاقة والفطنة.

2- اصطلاحاً:

عرفها الأنثروبولوجي الانجليزي "إدوارد تايلور" بأنها: "كل مركب يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد، وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع".²

وهي أيضاً تعرف بأنها: "كل ما أبدعت يد الإنسان وأبدع فكره، في سائر المجالات المادية، وغير المادية، من حيث هو عضو يعيش في مجتمع، وتراكم ذلك في الجماعة التي تؤمن وتحافظ وتؤيد ذلك التراكم".³

وعليه فإننا نقصد بالثقافة، هي كل ما يعبر عن تراث ثقافي في جانبه المادي والمعنوي من اللغة، العادات، والتقاليد، والتراث القومي الحضاري، والمعايير، وهي أسلوب في الحياة أو طريقة حياة تعكس خصوصية مجتمع من المجتمعات في سياق التمايز الثقافي بين المجتمعات.

ثالثاً: التنوع الثقافي *Cultural diversity*.

1- اصطلاحاً:

استخدم الأنثروبولوجي الفرنسي "كلود ليفي - ستروس" في كتابه "العرف والتاريخ" فضلاً عن جميع مؤلفاته هذا المصطلح بكثافة، ليشير إلى التنوع الناتج عن تجاور الثقافات وعن تداخلها بفعل إرادة ومصالحة الإنسان والذي كان مصدر غني بكل معنى الكلمة بالنسبة إلى البشرية جمعاء ومن أقدم العصور.

لذلك يمكننا؛ أن نعتبر التنوع الثقافي ميزة الإنسان على الأرض دون سواه، وهو يسمح للإنسان بل سمح لكل مجموعة بشرية أن تعلم وتتعلم من الآخر، ضمن ديناميكية التبادل الثقافي، من هنا يعتبر

¹ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص795.

² عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص28.

³ صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، 2004، ص12.

بعض علماء الاجتماع أن المجتمعات الأكثر تنوعاً هي الأكثر تقدماً، فالتنوع مصدر غنى ثقافي وحضاري واقتصادي واتصالي.¹

2- التعريف الإجرائي:

يقصد بالتنوع الثقافي في بحثنا هذا التنوع اللغوي والديني والقيمي والتاريخي، الذي يميز شعب من الشعوب، أو أمة من الأمم - الأمة العربية الإسلامية- ويعكس خصوصية الهوية الذاتية والثقافية لهذه الشعوب، وهو مسألة إيجابية توفر للإنسان بدائل يمكن من خلالها مواجهة كل التحديات والإشكاليات التي يستعصي حلها على مستوى المجتمع الواحد والثقافة الواحدة.

المطلب الثاني: لمحة عن تاريخ العولمة ونشأتها.

نهدف من خلال هذا المطلب إلى توضيح السياق التاريخي لظاهرة العولمة، وهذا نظراً لضرورة المنهجية التي تتطلب منا تبين سياق نشأة العولمة وإلى الفترة الزمنية التي تعود إليها، وما إذا كان اتفاق هو مرجعية نشوئها.

"اختلف الباحثون في التأريخ لنشأة العولمة على قولين:

الرأي الأول: يرى الباحثون أن ظاهرة العولمة قديمة، عمرها خمسة قرون؛ أي ترجع إلى القرن الخامس عشر، زمن النهضة الأوروبية الحديثة، حيث التقدم العلمي في مجال الاتصال والتجارة² فلولا هذا التقدم لما كان تبادل المعلومات والاحتكاك الثقافي والاقتصادي، وتشابه الخبرات والأنماط السلوكية... وفي ظل ذلك؛ انتقل العالم إلى مرحلة أكثر تقدماً، وهي مرحلة العولمة المعلوماتية أو ثورة المعلومات، وانفتاح العالم وزيادة التفاعل وانتشار التشابه إلى أن وصلنا إلى عصر العولمة.³

الرأي الثاني: يرى فريق آخر؛ أن العولمة ظاهرة جديدة، فما هي إلا امتداد للنظام الرأسمالي العلماني المادي النفعي، وقد برزت في المنتصف الثاني من القرن العشرين، نتيجة أحداث سياسية واقتصادية،

¹ عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص 226.

² عبد الرحمن بن عبد الله الفاضل، التربية الإسلامية وتحديات العصر، بحث متطلب لمادة التربية الإسلامية وتحديات العصر، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، 2007، ص 241.

³ حسن رحيم عزيز الهاشمي، انتصار كاظم خميس الثمر، المنظور التربوي في التعامل مع ظاهرة العولمة، مجلة الاستاذ، العدد 205، المجلد الثاني، جامعة بغداد، 2013، ص 241.

منها انتهاء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية عام 1991 م، وما أعقبه من انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالتربع على عرش الصدارة في العالم المعاصر...¹ وبناء على ما سبق، يمكن القول أن العولمة كلمة جديدة كمصطلح، ولكن ما تحمله في طياتها ليس بالجديد ففتح الأبواب أمام ظهورها كان وفق تسلسل زمني وتطور تاريخي للحضارات، كما أنه مرتبط بالتطور التكنولوجي والتقاني، فمن خلال اطلعنا وتتبعنا لأدبيات العولمة، نجد أنه منذ القدم كانت هناك حضارات قوية تفرض الهيمنة والسيطرة على الحضارات الأضعف منها، وهذا ما نلمسه من خلال مقولة **ماركس وإنجلز** "عندما تكلمنا عن نفس الظاهرة (ظاهرة العولمة) منذ (150) عاماً عندما كتب في البيان الشيوعي، أن السلع التي تخرج من مصانع الرأسمالية ستأخذ في الانتشار شرقاً وغرباً، ولن يفلح في صدها أي سور ولو كان سور الصين العظيم"². إذن فالحديث عن العولمة مجرد تسارع حديث لظاهرة قديمة.

المطلب الثالث: وسائل العولمة وآلياتها.

لقد تعددت وسائل العولمة بتعدد الأهداف التي ترمي إليها، فهي في سعيها إلى تهميش دول العالم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وخاصة الدول العربية الإسلامية، تستخدم جملة من الوسائل، وهذا ما ذهب إليه المفكر الإسلامي الألماني "مراد هوفمان" في قوله: "العولمة تتبنى الوسائل المريبة الزاحفة لتمزيق الأمة الإسلامية، والطغيان على قيمها السامية بالعمل على شيوع القيم المتدنية، التي تصاحب بالغزو الفكري والاستهلاكي، ولقد لجأت القوى الرأسمالية الغربية وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية إلى الوسائل التالية:

1- تسخير القوى العلمانية الداخلية من الكتاب ورجال الإعلام ورجال التربية لصالح العولمة... ويروجون لأفكارها"³.

2- الشركات المتعددة الجنسيات التي تقوم بإحداث التغيرات والتعديلات، مع الاستعانة بجهود هيئات ومؤسسات أخرى كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ووكالات الأمم المتحدة المختلفة، العاملة في ميادين التنمية والثقافة وهناك حتى الشركات التي لا جنسية لها.

¹ عبد الرحمان بن عبد الله الفاضل، مرجع سابق، ص 85.

² جلال أمين، مرجع سابق، ص 47.

³ صالح حسين سليمان الرقب، العولمة الثقافية وآثارها وأساليب مواجهتها، نشر في كتاب مؤتمر العولمة وانعكاساتها على العالم العربي الإسلامي، عمان، الأردن، 2008، ص18.

3- استخدام وسائل الدعاية والإعلام وشبكات الاتصال والحديثة كالأقمار الصناعية؛ لإحداث التغيرات المطلوبة لعولمة العالم.

4- إحلال الثقافة الغربية بدل الثقافة الإسلامية من خلال اللغة، إذ اللغة أداة مهمة اعتمدتها قوى العولمة لبسط هيمنتها.

5- استغلال المؤتمرات الاقتصادية، ومؤتمرات التنمية والسكان التي تعقد في كافة دول العالم، واستخدامها للترويج لثقافة وفكرة العولمة.¹

المبحث الثاني: العولمة والتنوع الثقافي.

يقدم هذا المبحث إجمالاً تحليلاً سوسيولوجياً للعولمة والثقافة الذاتية، ويُسلط الضوء على التنوع الثقافي من منظور إسلامي، ويُبرز لنا كذلك التحديات التي تشكلها العولمة على التنوع الثقافي للمجتمعات العربية، كما يبين لنا الاستراتيجيات المنتهجة من قبل المجتمعات العربية في مواجهة تحديات العولمة الثقافية (الغزو الثقافي)، وذلك وفقاً للمطالب التالية.

المطلب الأول: العولمة والثقافة الذاتية.

يبرز هذا المحور رahn الثقافة العربية ومقوماتها الأساسية في ظل العولمة والاتجاهات الراضة لها باعتبارها تشكل خطراً على مرتكزاتها، وبين مؤيد لها باعتبار العولمة تيار عصري وحداثة. والعنصر المالي سيوضح ذلك بصورة أكثر دقة.

بداية، تعتبر المجتمعات العربية الإسلامية كغيرها من المجتمعات، لها انتماؤها الثقافي وخصوصيتها الذاتية التي تميزها عن غيرها، وفي ظل الاستفحال والانتشار الواسع لظاهرة العولمة في جوانبها الثقافية تأثرت الهوية الثقافية لهذه الشعوب، وتعددت في هذا الإطار المواقف حولها، ومن هذا المنطلق يشير "عابد الجابري" "أن هناك موقفان سهلان، وهما السائدان، موقف الرفض المطلق وسلاحه الانغلاق الكلي، وما يتبع ذلك من ردود فعل سلبية محاربة وموقف القبول التام للعولمة وما تمارسه من اختراق ثقافي واستتباع حضاري، شعاره الانفتاح على العصر والمراهنة على الحداثة".²

ففي الاتجاه الراض للعولمة، نجد الموقف الذي يرى: "... أن العولمة بكل معطياتها وتجلياتها، وأهدافها المعلنة وغير المعلنة تشكل أخطاراً بالغة على هوية الأمة العربية، وموروثها وثوابتها، بحكم أنها

¹ صالح حسين سليمان الرقب، مرجع سابق، ص 18-19.

² طه علي أحمد، العولمة... والنظام التعليمي في الوطن العربي - اليمن أنموذجاً-، مجلة دراسات اجتماعية مجلة فصلية علمية، قسم الدراسات الاجتماعية، ع9، السنة الثالثة، بغداد، 2001، ص 58.

تعمل على تكوين سمات شخصية جديدة تحمل بين طياتها تناقضات ثقافية، في ظل متغيرات عصرية مفروضة على الفرد العربي¹.

وما يمكن ملاحظته على هذا المنظور، أنه يرفض العولمة جملة وتفصيلاً، على اعتبار أنها تعمل على طمس معالم الهوية الثقافية لهذه الشعوب، كما أنها تفرض أنماط ثقافية غريبة جديدة، ودخيلة على الثقافة الذاتية الأصيلة (الثقافة العربية الإسلامية)، وبالتالي يحدث استهجان ثقافي مفروض ما يترتب عليه تناقضات ثقافية، وهذا ما يجعلنا نصطدم بتحدي تراجع معالم ومقومات الثقافة العربية، لحساب الثقافة الغربية الدخيلة، وذلك عن طريق ما يعرف بالاختراق الثقافي.

وفي هذا السياق، نجد أن "... الاختراق الثقافي يستهدف العقل والنفس ووسيلتها في التعامل مع العالم (الإدراك) والسيطرة عليه، وتوجيهه بواسطة الصورة السمعية البصرية، فالممارسة الإعلامية الغربية عموماً والأمريكية على وجه الخصوص، تركز نمط حياة معين يقوم على مبادئ، كما أشار إليه "الجابري"، أولهما تسطيح الوعي (أو شكلته) وهذا بالسيطرة على الإدراك، وثانيها تكريس نمط الاستهلاك"²، أي جعله مرتبطاً بالسطح والمشاهد الإعلامية، التي يغلب عليها طابع الإعلان، الذي يستفز الانفعال ويحرك المشاعر ويحجب العقل، وهذا يؤدي بدوره إلى امتلاك الذوق، وقولبة الفكر وتغيير أنماط السلوك، وبصبح السلوك استهلاكياً يرتبط بما تنتجه الشركات الغربية والأمريكية العملاقة في العالم.³ وذلك وفق ما يخدم أهداف ومصالح الجهات التي تمارس عمليات الاختراق.

فأصحاب التيار الرفض للعولمة يروا فيها خطر، وقد يمس كيان الأمة العربية الإسلامية بجميع مقوماتها "... فالهدف الأساسي من العولمة حسب "نعمات أحمد فؤاد" "تشكيك أمم الحضارات العريقة في حضارتها ونفسها وعقائدها وتغريب إنسانها في أفكاره ومناهج تعليمه، بل حتى طراز عمارته وأسلوب حياته ...، إنهم يريدون أمركة كل شيء"⁴. ويعني ذلك؛ "أنها تعمل على محاربة الذاكرة الوطنية، والتاريخ، والوعي بالتفاوت والانتماء الوطني القومي، وربط الناس اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، بشيء يقع خارج الوطن وخارج التاريخ"⁵.

¹ حسن الجيلاني، قضايا اجتماعية معاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص128.

² علي سموك، المشروع التربوي الجزائري بين معوقات الأزمة وواقع العولمة "مقاربة سوسيولوجية"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، فيفري، 2005، ص130.

³ محمود عرابي، تأثير العولمة على الشباب، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006، ص58.

⁴ سليمان بن صالح الخراشي، العولمة، ط1، دار بلنسية للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1420هـ، ص30.

⁵ محمود عرابي، مرجع سابق، ص25.

وفي هذا الإطار؛ "يلزم أصحاب الاتجاه الرافض للعولمة سد جميع الطرقات والمنافذ التي يمكن أن تتفد من خلالها العولمة إلى مجتمعاتنا... وأن أول شيء سنفقد بسبب العولمة هو هويتنا الثقافية، حيث ستمسخها العولمة وتحولها إلى صورة باهتة من صور المجتمع الغربي والأمريكي منه على وجه الخصوص".¹

ومنه؛ فأصحاب هذا الاتجاه غلبت عليهم النظرة المتشائمة والسلبية البحتة لتأثير العولمة على الثقافة الذاتية وذلك من خلال التركيز على انعكاساتها السلبية على الهوية والخصوصية الثقافية الذاتية، وإغفال جوانبها الإيجابية وإن قلت.

ومن جهة أخرى، وفي مقابل هذا الاتجاه نجد أن "العولمة من وجهات نظر مؤيدها هي شكل من أشكال تبسيط العلاقات وتجاوز العقد التاريخية والنفسية، والنظر إلى العالم باعتباره وحدة متجانسة واحدة، وأنها نظام رشيد يضم العالم بأسره، فلم يعد انفصال أو انقطاع بين المصلحة الوطنية والمصالح الدولية، وبين الداخل والخارج".² حيث هذا الاتجاه المؤيد للعولمة "لا يرى في العولمة إلا اتجاها متزايدا نحو تقسيم العمل، وانتشار التكنولوجيا من مراكزها في العالم المتقدم اقتصاديا إلى أقصى أطراف الأرض، واثم زيادة الانتاج أضعافا مضاعفة، وهو في سبيل ذلك مستعد لأن يغفر للعولمة أي تأثير سلبي يمكن أن ينتج عنها على الهوية الثقافية، بل هو مستعد للقول بأن هذا الأثر السلبي على الهوية تافه أو بسيط، بل قد يذهب إلى حد القول بأن الهوية الثقافية سوف تفقد من العولمة بدلا من أن تضار".³

وهذا ما يجعل هذا التيار منغمس كلية في العولمة ومؤيدا لها كلية، متجاهلا مساوئها والأضرار التي يمكن أن تتجم عنها خاصة في المجال الثقافي.

وفي إطار ما سبق؛ نجد أن هناك رأي يتوسط الرأيين السابقين، وهو رأي توفيق دعي إليه العديد من الباحثين والكتاب العرب، ونجد على رأس هؤلاء الباحثين الدكتور "تركي الحمد" الذي يرى "أن الأهم في قضية العولمة، هي أنها عملية تاريخية جارية، أي أنها حتم معاش، وبالتالي فالقضية ليست قضية اختيار إيديولوجي أو سياسي في أن نقبلها أو لا نقبلها، بقدر ما هي قضية سؤال حول كيفية التعامل معها واستيعابها، فالرافضون للعولمة رفضا مطلقا باسم حماية الخصوصية الثقافية والهوية مصيرهم الاندثار، والتاركون أنفسهم للموج يحملهم كيف شاء وأنى شاء، مصيرهم الاندثار كذلك، الحل يكمن في

¹ محمد بن أحمد يحي الشهري، مدى إسهام معلم المرحلة الثانوية في مواجهة التحديات الثقافية، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية المقارنة، جامعة أم القرى، 1429هـ، ص48.

² علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، مرجع سابق، ص124.

³ جلال أمين، مرجع سابق، ص43.

الوعي بمعنى العولمة وجوهرها، والاندماج فيها يمثل هذا الوعي، دون الغرق في جدل حول فرعيات سلوكية لا تمس الجوهر...؛ وأن بالتعامل مع العولمة يمكن الحفاظ على الذات دون الغرق في المتغيرات أو العزلة عنها".¹

وحسب تصورنا للموضوع؛ فإننا نرى أن أمر الحفاظ على الخصوصية الذاتية، والتمسك بالهوية الثقافية القومية، أمر ضروري لا مناص منه، لذلك لابد من تكريس الجهود وعلى جميع الأصعدة للدفاع عن معالم الهوية الوطنية، وذلك دون إغفال منا لما يحدث في العالم من تطورات مصاحبة للعولمة، بما يضمن لنا أخذ الإيجابي من العولمة وتجنب مساوئها، في إطار التفاعل والانفتاح الإيجابي على العولمة، وفي إطار أننا مشاركون فيها وليس دول مفعول بها.

المطلب الثاني: التنوع الثقافي من منظور إسلامي.

بصفة مجملة، يبين هذا المطلب نظرة الإسلام بدليل آيات القرآن الكريمة بأحقية التنوع الثقافي والاختلافات القومية واللغوية، وكيف أن الاتجاه الإسلامي شرع الاختلاف والتنوع الثقافي.

في مستهل الحديث، تتلخص رؤية الإسلام للتنوع الثقافي من باب أن "...التنوع الثقافي يعتبر سنة من سنن الكون، فالحياة أساسها التنوع والتعدد لقوله تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ] (الروم، الآية 22) فاختلاف الألسن يعني تعدد القوميات، واختلاف الألوان يعني تعدد الأجناس البشرية؛ وقوله تعالى: [لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...] (المائدة، الآية 47)؛ وهذا يعني تعدد الشرائع والأديان، وإذا كانت الحضارة تنشأ من فكرة دينية، وإذا كانت مجموعة الظواهر والمعطيات المنبثقة عن أمة ما أو تصور ما (فكرة دينية)؛ فإن الإيمان بتعدد الشرائع والأديان يقضي إلى الإيمان بتعدد الحضارات، وإذا كان هذا الاختلاف والتعدد من آيات الله، فإن الذي يسعى لإلغاء هذا التعدد يعد ساعياً إلى طمس آيات الله في الوجود، بالشكل الذي يهدد الوجود الإنساني على سطح المعمورة".²

فلقد جعل الله الناس بأصل الخلق شعوباً وقبائل، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...] (الحجرات، الآية 13)، وهذا التعاون والتعارف والتكامل، هو ثمرة التنوع، وهو ماهية الخلق وسبب نموه وامتداده وأساس لسنة التدافع الحضاري...؛ فهذا الجعل من الله

¹ تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، ط2، دار الساقى، لبنان، 2001، ص22-23.

² باسم علي خرسان، العولمة والتحدي الثقافي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2001، ص150-151.

تحدي المحافظة على التنوع الثقافي للمجتمعات العربية في ظل العولمة - قراءة تحليلية من منظور سوسيولوجيا التربية-

الخالق، الذي كان به التنوع، هو إغناء وإثراء وتكامل، فالتفكير في التنميط والاستنساخ الثقافي، والاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي، مناف للطبيعة ومصيره وعاقبته البوار.¹

مما يدفع بنا إلى التأكيد على ضرورة المحافظة على تنوع الهوية الثقافية، لكونه يغني الحياة الإنسانية، واحترامه أمر واجب لقوله تعالى: [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ] (البقرة، الآية 206)، وجميع الأجناس متساوية، وكل تراث مجتمعي يسهم في التراث الإنساني، والإسلام باعتباره ديانة عالمية نجده أيضا يعترف بهذا التنوع وينظر إليه باعتباره من حكمة الله ومن آياته، فهو سبحانه خلق الناس مختلفين ومن أب وأم واحدة، ومايز بين ألوانهم وألسنتهم ومجتمعاتهم وأقوامهم ومللهم، ودعاهم في الوقت نفسه إلى أن يتعارفوا أو يتعاونوا على ما فيه خير للإنسان، ليلتقوا جميعا في دائرة "العالمين" إخوة متساوين ومتعارفين، والدخول إلى هذه الدائرة، إنما يأتي من خلال احترام كل الهويات الثقافية، والعالمية لا تعني محو هذه الهويات واستبدالها بهوية مفروضة بالقوة. إذن هي دعوة إلى التفاعل الثقافي القائم على أساس الاحترام والمحافظة على التنوع الثقافي في كل زمان ومكان.²

مما سبق نستخلص؛ أن الاسلام حث وأكد على ضرورة التنوع الثقافي بين حضارات العالم، ودعا في الوقت نفسه إلى الحفاظ على هذا التنوع، باعتباره ثروة ثقافية وفكرية تزخر بها الإنسانية كافة، وهو يعتبر الدعوة إلى التجانس الثقافي التام بين الشعوب بحجة العولمة أمر غير منصوح عليه بنص قطعي الثبوت (الكتاب والسنة)؛ وبالتالي هو حجة باطلة تخفي غير ما تعلن، ومنه لا يستطيع أحد القول بأن التجانس بين الثقافات سوف يحصل، فهو ضد الفطرة وضد ما جاءت به سنن الكون.

المطلب الثالث: التحديات التي تشكلها العولمة على التنوع الثقافي للمجتمعات العربية.

يأتي هذا المطلب ليعالج مختلف التحديات التي تفرضها العولمة الثقافية على التنوع الثقافي، وتعد الثقافة العربية من بين الثقافات المستهدفة، خاصة وأن الاختراق الثقافي الغربي يضع الثقافة العربية بمقوماتها الدينية واللغوية والتاريخية كثقافة متخلفة، ويجب عليه تحويلها جذرياً لثقافة أفضل، وهذا طبعاً استناداً لنظرة الغرب العنصرية والأيديولوجية للمجتمعات الأخرى باعتبارها ثقافات دنيا وأن الثقافة الغربية هي الثقافة المثالية والنموذج الذي يقتدى به. وهذا ما سنعمل على توضيحه من خلال هذه الجزئية من المطلب الثالث.

¹ بركات محمد بركات، ظاهرة العولمة، ص26-27. على الموقع: www.kotobarabia.com

² باسم علي خرسان، مرجع سابق، ص151.

يشير "التنوع الثقافي إلى حقيقة سوسيولوجية سواء كان بين مجال ثقافي وآخر، أو بين الثقافات الفرعية"¹، وهذا التنوع أمر واقعي وطبيعي ولا يتطلب الاعتراف به من أحد، لأنه من جعل الله في الطبيعة والجملة الإنسانية²، ولا يقتصر الاختلاف بين الثقافات على المعتقدات الثقافية، إذ تظهر المجتمعات البشرية درجات مشهودة من التنوع في الممارسات وأنماط السلوك، كما تتباين أشكال السلوك بشكل أوسع بين ثقافة وأخرى³، وفي هذا الصدد يؤكد "أرمان ماتلار" على أنه: "لا توجد حضارة إنسانية واحدة بل حضارات متنوعة"⁴.

وفي هذا السياق؛ نجد الحضارة العربية الإسلامية من بين الحضارات التي تزخر بتنوع ثقافي واسع، وتراث محلي لغوي وقيمي و... إلخ، يعبر عن الخصوصية الذاتية للأمة العربية الإسلامية وانتماءاتها، ومن هذا المنطلق وجب المحافظة على التنوع الثقافي في العالم عامة وفي المجتمعات العربية على وجه الخصوص، لأنه يمثل ضرورة من ضروريات الحياة وإرث ثقافي يخص الإنسانية كافة.

غير أن التحولات التي عصفت بالعالم، والناجمة عن الإنجاز المعرفي المستمر والثورة في الاتصالات، رغم تفكك الكثير من البنى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، لأركان المجتمعات حتم على الثقافات بشكل خاص أن تخضع للسيطرة الاستعمارية أو الامبريالية، أو الثقافة الغربية من جديد، ولكن بزعماء أمريكية في هذه المرحلة التي نعيشها.⁵ وهي ما تعرف بالعولمة الثقافية والتي تتمحور أهدافها في "السعي إلى تعميم نمط الحياة والثقافة الغربية وبخاصة الأمريكية على العالم، بهدف تأسيس نوعية حياة وثقافة عالمية متجانسة، تشكل بيئة مواتية للنظام الرأسمالي⁶، أي أنها تسعى لفرض النموذج الغربي للحياة متجاهلة الفروق والاختلافات الثقافية للأمم والشعوب... وفي هذا الصدد يؤكد "نيل كلينتون" الرئيس الأمريكي السابق على هذه النظرية الأحادية المتطرفة، التي تسعى إلى إلغاء التمايز والتنوع في ثقافات الأمم والشعوب، وفرض النموذج الأمريكي على بقية شعوب العالم، وإجبار الأمم على الالتزام بقيمه

¹ اسماعيل ميهوبي، مقدمة في دراسة المجتمع المحلي، تحليل سوسيولوجي للتنشئة الاجتماعية للتلميذ المراهق، دار جيطلي، برج بوعريش، 2014، ص 158.

² بركات محمد مراد، مرجع سابق، ص 28.

³ أنتوني غدنز، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، تر: فايز الصياغ، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2009، ص 85.

⁴ أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تعريب: خليل أحمد خليل، ط 1، دار الفرابي، لبنان، 2008، ص 20.

⁵ رناد الخطيب، الثقافة والنظام العالمي الجديد (ملتقى عمان الثقافي التاسع)، اتحاد الكتاب الأردنيين، عمان، 2000، ص 2.

⁶ عبد المحسن أحمد العصيمي، مرجع سابق، ص 65.

ومبادئه حتى لو تعارضت مع عقائدهم وأديانهم بقوله إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري، وإننا نشعر أن علينا التزاما مقدسا لتحويل العالم إلى صورتنا".¹

وبالنفويض من ذلك؛ يذهب "الدكتور أحمد البرقاوي" إلى القول أنه: "إذا كانت الثقافات العالمية تتطوي بالضرورة على عناصر الثقافة القومية، إلا أنها ليست حاصل جمع لثقافات الأمم، وليست تراكما لتنوع الثقافات ولكنها أمة وصلت إلى درجة عالية من التقدم التاريخي، وهضمت على نحو كافي ثقافات الأمم السابقة، وصارت قادرة على إحداث تأثير مباشر وغير مباشر على ثقافات الأمم الأخرى"²، وخاصة إذا ما تعلق الأمر بالأمم العربية الإسلامية التي تعتبر في صدارة هذه الأمم.

بالإضافة إلى أننا نجد في هذا التجانس الثقافي الذي تدعوا إليه الدول الغربية، والتي على رأسهم أمريكا وتفرضه على دول العالم، تهديدا على التنوع اللغوي والديني والتاريخي لهذه الأمم، نجده كذلك يولد صراعات بين القوى، ويولد مقاومة المجتمعات الأخرى المهددة بزوال كيائها الثقافي، وهذا ما أكدته "مايك فيدرستون" في قوله: "إننا بدلا من التفكير بثقافة كونية عامة علينا أن نتصورها ميدانا تظهر فيه الفوارق وصراعات القوى، وبينما هناك ضغوط من أجل التجانس تمارس تأثيرها في المرحلة المعاصرة، هناك في الوقت نفسه قوى مغايرة تعمل".³

وفي خضم ما سبق، فإننا لا نستطيع أن ننكر تأثير العولمة الثقافية (المجسدة في الثقافة الغربية) على المجتمعات العربية الإسلامية على وجه التحديد، ولا نستطيع كذلك إنكار التحديات التي تبرزها العولمة على التنوع الثقافي لدى هذه الشعوب، سواء تعلق الأمر باللغة أو الدين، أو القيم أو الفكر...، ومن هذا المنطلق سوف يتم ذكر أبرز هذه التحديات وذلك وفق ما يلي:

أولاً: التهوين من شأن اللغة العربية والإعلاء من شأن اللغات الأجنبية.

تعد اللغة من أبرز مكونات هوية الأمة وملامح تميزها وخصوصيتها⁴، ولقد باتت اللغة الانجليزية لغة ثورة الاتصال والأنفوميديا، وهي اللغة المسيطرة بالدرجة الأولى على جميع دول العالم، وتتمثل هذه السيطرة في إخضاع اللغات القوية كالعربية مثلاً، وسحق اللغات الضعيفة وتدميرها، وجعلها معرضة

¹ صالح بن سليمان بن صالح العمر، تحديات العولمة الثقافية ودور التربية الإسلامية في مواجهتها، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، المجلد الرابع، العدد الأول، 2012، ص 28.

² عزوز عبد الناصر، أثر البث الفضائي التلفزيوني في تغيير القيم الأسرية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2011، ص 144.

³ بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ترجمة: طلعت الشايب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص 145.

⁴ صالح بن سليمان بن صالح العمر، مرجع سابق، ص 29.

للازدياد، زيادة على نشر الفكر الغربي¹، كما يلاحظ أن لغة الحياة اليومية تنتشر فيها الكثير من المفردات الأجنبية... يضاف إلى ذلك انتشار التعليم باللغات الأجنبية في مختلف مراحل نظامنا التعليمية... كما أن العولمة اخترقت عالم الشباب وفصلتهم عن لغتهم... وهذا يعني حصار اللغة العربية حاضرا ومستقبلا²، وكل هذا يترجم صعوبة التحديات التي تواجهها الأمة العربية الإسلامية في جانبها اللغوي.

ثانياً: تحدي الدين.

من أبرز مجالات التحدي الثقافي للعولمة، موقفها السلبي من الدين، وتهميش دوره في الحياة، وإقامة نظم المجتمعات الإنسانية بمعزل عن الدين وتوجيهاته الشاملة لكل جوانب الحياة³. وفي هذا السياق فقد "... رشحت الحضارة الإسلامية لتكون الحضارة الأولى التي اتجهت إليها عدوانية العولمة المؤيدة بقوى الغرب الرأسمالي وحضارته، ولما كان الدين الإسلامي هو قاعدة الثقافة والحضارة الإسلامية، فقد اتجه هجوم العولمة على الدين ذلك لأن هناك تناقض بين معاني ومضامين العولمة والدين...، لذلك شكل الدين أحد مجالات ضغط ثقافة العولمة على الثقافات القومية وتفكيكها، حيث تسعى للاعتداء على الدين وتشويه هويته... لذلك سعت قوى العولمة إلى الهجوم على الدين بوسائل عديدة، مثال ذلك اتجاه بعض الكتابات الغربية التي ظهرت مؤخراً، بخاصة كتابات "فرانيس فوكوياما" و"صموئيل هنتون" في الهجوم على الإسلام والحضارة الإسلامية واعتبارها مصدراً تهديد للحضارة الغربية، والسخرية من الرموز الإسلامية...، إضافة إلى نشر الرسوم المسيئة لنبي الإسلام، إلى جانب الضغوط المفروضة على العالم العربي والإسلامي، لدفعه إلى حذف الآيات القرآنية المتعلقة بالجهاد أو المتعلقة باليهود"⁴.

ومنه نستنتج، أن للعولمة تحديات سلبية عميقة تضرب أسس الدين الإسلامي، حيث أنها تدعو إلى الانسلاخ من مضامين العقيدة الإسلامية، كما أنها تدعو إلى الإلحاد والتتصير، وهي بذلك تهدد المجتمعات العربية في عقر دارها وتضررها في صلب أصولها وعمق دينها، مما يبرز الخطر والتهديد الذي يحيط بنا كمجتمعات عربية إسلامية أصيلة ويلزم علينا مواجهته.

¹ يحيى عابنة، محمد المجالي، مرجع سابق، ص 9.

² عبد المحسن بن أحمد العصيمي، مرجع سابق، ص 73.

³ صالح بن سليمان بن صالح العمرو، مرجع سابق، ص 26.

⁴ عبد المحسن أحمد العصيمي، مرجع سابق، ص 75-76.

ثالثاً: تحدي تاريخي.

لا شك أن إخفاء هوية أية أمة من الأمم - أو محاولة تهميشها على الأقل - يكون بإخفاء تاريخ تلك الأمة، أو تشويهه والانتفاف عليه، وهذا ما عمل به صناع العولمة من أجل عولمة التاريخ الأوروبي والغربي لمحو ذاكرة الشعوب وسلخ هويتها بطمس تاريخها... وفي هذا السياق يقول "محمود شاكر" في (هوية الأمة المسلمة): "عندما تمكن المستعمرون النصارى من تشديد قبضتهم على ديار المسلمين، وأصبحوا المشرفين على المنهاج عملوا على ربط التاريخ الإسلامي بالتاريخ الأوروبي، وعدو ذلك تاريخاً، كي لا يتميز التاريخ في الأمصار الإسلامية، كما أنه من مظاهر عولمة التاريخ - وبالذات العربي- إقصاء تواريخ الأمم الأخرى - وبالذات الأمة الإسلامية- وذلك بهدف تهميش الهوية الإسلامية، والالتزام باستخدام الأشهر والأيام الميلادية، مع تهميش وإقصاء التاريخ الإسلامي الهجري بالذات، ومن مظاهر عولمة التاريخ أيضاً خاصة العربي الإسلامي، عولمة بعض المناسبات الدينية والاجتماعية، العامة منها والخاصة والاحتفال بها وبثها ونقل تلك الاحتفالات إلى جميع أصقاع العالم فضائياً، مثل رأس السنة الميلادية.¹

ومنه نستخلص، أن العولمة تعمل على محو معالم الهوية التاريخية للأمة العربية الإسلامية، فعلى الرغم من تمسك هذه الأمة بتاريخها، إلا أننا نجد العولمة تسعى جاهدة لسحق الموروث التاريخي للعرب وتهميش دوره وإنكار وجوده وربطه بالتاريخ العالمي للدول الغربية، وفرض التاريخ الغربي على حساب التاريخ الأصيل، مما يهمل وجوده كعنصر بارز في الهوية الوطنية، وهذا ما نجده في كتابات فرنسيس فوكوياما عن نهاية التاريخ، والتي يرى فيها أن الحضارة الغربية انتصرت على غيرها من الحضارات، وبذلك فإن هذا التحدي يعتبر من أصعب ما تواجهه الأمة العربية الإسلامية.

المطلب الرابع: استراتيجية المجتمعات العربية لمواجهة التحدي الثقافي للعولمة.

إن السيطرة الثقافية لا تعني بالضرورة في كل الحالات وعند كل الثقافات الخاضعة، سلب الثقافات الأخرى اتساقها الداخلي، وقدرتها الإبداعية، فبإمكان الثقافات أو كثير منها بلورة استراتيجيات فعالة، للحد من هذه السيطرة أو الانتفاف عليها أو التعامل بطريقة تسمح لها بالاستمرار في البقاء والصراع، والمشاركة في الإبداعات الحضارية...² كما أن مواجهة الدولة العربية الإسلامية للاختراق

¹ صلاح بن ردود بن حامد الحارثي، دور التربية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1422هـ، ص 92-94.

² برهان غليون، أمين سمير، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2008، ص 51.

الثقافي الغربي ليس عملية سهلة إطلاقاً لكنها ممكنة، وعليه يمكن ذكر الاستراتيجيات التالية لمواجهة هذا الغزو:

1- التفاعل بين الثقافة المحلية والثقافات الأخرى الخارجية، في إطار عالمية الثقافة، التي تقضي بالاعتراف التعددي الثقافي وبعدم انصهار ثقافة في أخرى، لأن عالمية الثقافة تعني الاحتكاك بالثقافات الأخرى، أخذاً وعطاء بالاحتفاظ بالخلاف الأيديولوجي.

2- الانفتاح على الثقافات الأخرى، في حدود التبادل والتوازن الثقافي على أساس الحوار دون نفي ثقافة الآخر.

3- التعبئة والاستعداد الكامل المبني على أسلوب المواجهة، المبني على الاعتقاد والإيمان، وعلى الحضارة والرصيد العلمي، والتاريخي للنهوض بالهوية الثقافية.

4- الاستفادة من العولمة في مجالها الإعلامي والتقني والاتصالي، وذلك بجلب التكنولوجيا واستخدامها في أغراض من شأنها حفظ الهوية الثقافية دون المساس سلباً بخصوصية هذه الهوية.

5- يجب التحرك لإبراز الهوية الثقافية، دون البقاء مكتوفي الأيدي وانتظار الغزو الثقافي، من أجل استهلاكه والاعتراف به، ودون شروط تفرض نفسها من الهوية الثقافية المحلية.

6- تكاتف وتعاون الناس جميعاً لأي أمة، وخاصة مؤسسات التربية والتكوين والوزارة المعنية، ودور الثقافة والمساجد ونوادي الكتاب، من أجل تكوين الذات وتحسينها، جيداً لتكون حصناً متيناً يصد سلبات العولمة الثقافية.

7- وجوب نشر وتوعية الأفراد بخطر الثقافة الغربية المعولمة؛ باعتبارها مسخاً واستعماراً ثقافياً يفرغ الهوية من أصلها بإعادة صياغة الإنسان من جديد، ليصبح جسداً بدون روح.¹

8- في هذا الإطار، يرى الدكتور الجابري أن البديل هو الدفاع عن الهوية الثقافية، ومقاومة الغزو بالعقلانية وبالديمقراطية، بإعادة الاعتبار للهوية الوطنية، وتنشيط عناصر الهوية في النسيج المجتمعي، لأنها تساهم في معرفة التطور الحاصل بإدراك ووعي، والاعتبار بالغير، فالصين واليابان باعتمادهما على اللغة الوطنية كأساس لمنطقتيهما في الثورة العلمية والتقنية والتكنولوجية، والاقتصادية فيما يعبر عن حاجات أفرادها، والتي جمعت شمل الأمة استناداً إلى اللغة.²

¹ زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2010، ص 99-100.

² المرجع نفسه، ص 100.

استنتاجات عامة:

تم التوصل من خلال الدراسة إلى الاستنتاجات التالية:

- 1- أن العولمة مصطلح جديد لظاهرة قديمة قدم التاريخ، وأن الأمر الجديد فيها هو استفحالها وتوسع انتشارها وبروز جوانب أخرى لها وخاصة الجانب الثقافي الذي يعتبر من أخطرها على الإطلاق.
- 2- أن العولمة تستند في بسط هيمنتها على شعوب العالم والمجتمعات العربية على وجه التحديد، على وسائل وآليات متعددة والتي من أبرزها كتابات المفكرين الغربيين، والثورة التكنولوجية والاتصالية الإعلامية، التي تحمل في مضمونها تهديد واختراق للخصوصية الثقافية لدول العالم.
- 3- أن النظرة الفكرية العربية للعولمة تعددت وتباينت بين المفكرين العرب وسارت بين تيارات الفكر الرفض للعولمة باعتبارها غزو واختراق لنسيج الثقافي المحلي، وبين الاتجاه المؤيد لها والذي يتمثلها كنمط من الحداثة والتحضر، وبين الموجات التوفيقية بين الرأيين السابقين، وذلك بحكم الوعي بالعولمة والتعقل في التعامل معها.
- 4- أن العولمة ليست سلبية بمجملها، وإنما تتوافر على فرص عديدة يمكن استغلالها والاستفادة منها في تحقيق التقدم للإنسانية جمعاء.
- 5- أن الإسلام نظر إلى التنوع الثقافي باعتباره خاصية من خصائص الكون والطبيعة الإنسانية، وهذا ما لا يمكن إنكاره من أحد؛ وذلك لأن الحياة أساسها التنوع والتعدد، كما دعا المنظور الإسلامي إلى الحفاظ على هذا التنوع، باعتباره إرث ثقافي يميز الوجود الإنساني، ورأى بضرورة احترام كل الهويات والخصوصيات الثقافية المختلفة (في العالم)، والتعايش السلمي بين شعوب العالم.
- 6- أن العولمة في ظل الصورة السمعية البصرية تعتبر وسيلة لتنميط الوعي والإدراك، وتعطيل فاعلية العقل، أي تنميط الذوق والوعي والسلوك والقيم تنميطاً كلياً، والعمل على تجانس الثقافات وفق نموذج الثقافة الغربية - الأمريكية - وهذا ما رآته الباحثة، يشكل أصعب تحدي للمجتمعات العربية الإسلامية. بمعنى إلغاء الذات الثقافية لحساب الآخر الذي تجسده الثقافة الغربية.
- 7- أن هناك جملة من التحديات الثقافية في ظل العولمة، أبرزها تلك المتعلقة باللغة والتاريخ والدين، بالإضافة إلى القيم وهذا ما يبرز الخطورة التي تواجهها الثقافة العربية الإسلامية.
- 8- أن مواجهة العولمة وتحدياتها من قبل المجتمعات العربية الإسلامية يتطلب وضع استراتيجية واضحة ودقيقة والتقيّد بها؛ وذلك للحد من خطورة العولمة والعمل على خفض ترسباتها الثقافية، وذلك لأنها أثقلت كاهل هذه المجتمعات.

الخاتمة:

ما كانت هذه الدراسة إلا محاولة بسيطة لإلقاء الضوء على موضوع تحديات المحافظة على التنوع الثقافي للدول العربية الإسلامية، في ظل العولمة، وكان الهدف هو الكشف عن أهم التحديات التي تتعرض لها الثقافة العربية الإسلامية، ومعرفة الاستراتيجية المتبعة من طرف هذه الشعوب للتصدي للعولمة الثقافية.

ومما تقدم، يمكننا القول أن العولمة كظاهرة لم تأت من فراغ؛ وإنما كانت وليدة مجموعة متغيرات سياسية واقتصادية وثقافية، وأنها في سعيها إلى فرض الهيمنة على شعوب العالم، تستخدم جملة من الوسائل والآليات المختلفة من إعلام وكتابات تروج لها، وشركات متعددة الجنسيات أو ليس لها جنسيات، وبذلك فإن العولمة أمر واقع لا سبيل لإنكاره، حيث يمكن أن نلمس أثارها الواضحة في مختلف مجالات الحياة، والثقافة هي إحدى تلك المجالات المهمة التي أثرت عليها العولمة، وخاصة إذا كانت هذه الثقافة هي ثقافة الدول العربية الإسلامية.

وقد اتضح من خلال نتائج الدراسة، أن هناك جملة من الأخطار والتحديات والتحديات التي تعرضت لها الثقافة العربية في المجتمع الإسلامي، وكان لها الأثر الكبير على الجانب اللغوي والديني والتاريخي للأمة العربية الإسلامية باعتبار أن هذه الجوانب أهم مكونات الهوية الثقافية لهذه الأمة؛ وبالتالي السعي إلى القضاء على التنوع الثقافي لدى هذه الشعوب، بالرغم من أن هذا التنوع يعد سنة من سنن الكون، وأن الإسلام دعا إلى الحفاظ عليه.

ومن هذا المنطلق استوجب على الدول العربية الإسلامية وضع حلول واضحة لمقاومة الاختراق الثقافي للدول الغربية، ودعوتها للتجانس الثقافي، وخاصة وأن الثقافة تعبر عن هوية شعوبها، فإذا كانت هناك استراتيجية مخططة لضرب الثقافة، فلا بد أن تقابلها استراتيجية موازية لها بنفس القوة والدرجة، لتقويضها والحد من أثارها، وعلى جميع الأصعدة والمستويات، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بثقافة عربية أصيلة وفريدة.

كتوصيات يمكن الخروج بها نقترح:

أولاً: إجراء دراسات تكون أكثر عمقاً وتوسعاً تتعلق بالاختراق الثقافي للمجتمعات العربية، من حيث الأسباب والعوامل الباطنية والظاهرة لظاهرة، ومحاولة مقارنة الموضوع من زوايا الحقول المعرفية الأخرى. ثانياً: توجيه مؤسسات التنشئة الاجتماعية وخاصة ما يتعلق بالأسرة والمدرسة والإعلام نحو تفعيل دورهم في التحصين الثقافي والاجتماعي، من خلال تربية النشء على معالم الهوية العربية الإسلامية الأصلية.

ثالثاً: ربط المناهج الدراسية والأكاديمية بمواد تعليمية ونشاطات تربوية، من شأنها أن تعزز وتثبت الصلة بين الفرد المتمدرس وهويته الثقافية المحلية في ظل الاختراق الثقافي الغربي وتحدياته.
رابعاً: إجراء ملتقيات وندوات علمية حول موضوع الهوية الثقافية المحلية وسبل حمايتها من الثقافات المخترقة لها.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب

1. أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تعريب: خليل أحمد خليل، ط1، دار الفرابي، لبنان، 2008.
2. اسماعيل ميهوبي، مقدمة في دراسة المجتمع المحلي، تحليل سوسيولوجي للتنشئة الاجتماعية للتلميذ المراهق، دار جيطلي، برج بوعريريج، 2014.
3. أنتوني غدنز، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، تر: فايز الصياغ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2009.
4. باسم علي خرسان، العولمة والتحدي الثقافي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2001.
5. بركات محمد بركات، ظاهرة العولمة. على الموقع: www.kotobarabia.com
6. برهان غليون، أمين سمير، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2008.
7. بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ترجمة: طلعت الشايب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
8. تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، ط2، دار الساقى، لبنان، 2001.
9. جلال أمين، العولمة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2009.
10. حسن الجيلاني، قضايا اجتماعية معاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014.
11. حسن حنفي، صادق جلال العظم، ما العولمة؟، ط2، دار الفكر، سورية، 2000.
12. سامي محمد نصار، قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2005.
13. سليمان بن صالح الخراشي، العولمة، ط1، دار بلنسية للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1420هـ.

14. صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، 2004.
 15. عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.
 16. عبد المحسن بن أحمد العصيمي، العولمة في عالم متغير، ط1، قرطبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2010م.
 17. علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، العولمة والمجتمع، دار الحامد، عمان، 2007.
 18. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.
 19. محمد طاقة، مأزق العولمة، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2007.
 20. محمود عرابي، تأثير العولمة على الشباب، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006.
- ثانياً: الرسائل والمذكرات
1. صلاح بن ردود بن حامد الحارثي، دور التربية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1422هـ.
 2. عزوز عبد الناصر، أثر البث الفضائي التلفزيوني في تغير القيم الأسرية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2011.
 3. محمد بن أحمد يحيى الشهري، مدى إسهام معلم المرحلة الثانوية في مواجهة التحديات الثقافية، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية المقارنة، جامعة أم القرى، 1429هـ.
- ثالثاً: المقالات
1. حسن رحيم عزيز الهاشمي، انتصار كاظم خميس الثمر، المنظور التربوي في التعامل مع ظاهرة العولمة، مجلة الاستاذ، العدد 205، المجلد الثاني، جامعة بغداد، 2013.
 2. زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2010.
 3. صالح بن سليمان بن صالح العمر، تحديات العولمة الثقافية ودور التربية الإسلامية في مواجهتها، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، المجلد الرابع، العدد الأول، 2012.

4. طه علي أحمد، العولمة... والنظام التعليمي في الوطن العربي - اليمن أنموذجاً-، مجلة دراسات اجتماعية مجلة فصلية علمية، قسم الدراسات الاجتماعية، ع9، السنة الثالثة، بغداد، 2001.

5. علي سموك، المشروع التربوي الجزائري بين معوقات الأزمة وواقع العولمة "مقاربة سوسيولوجية"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، فيفري، 2005.
رابعاً: أشغال الملتقيات

1. رناد الخطيب، الثقافة والنظام العالمي الجديد (ملتقى عمان الثقافي التاسع)، اتحاد الكتاب الأدباء الأردنيين، عمان، 2000.
2. صالح حسين سليمان الرقب، العولمة الثقافية وآثارها وأساليب مواجهتها، نشر في كتاب مؤتمر العولمة وانعكاساتها على العالم العربي الإسلامي، عمان، الأردن، 2008.
3. عبد الرحمان بن عبد الله الفاضل، التربية الإسلامية وتحديات العصر، بحث متطلب لمادة التربية الإسلامية وتحديات العصر، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، 2007.
4. يحي عبابنة، محمد المجالي، العولمة والثقافة المحلية، حوار أم صراع، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية، 2000.